نحو النصّ في المنجز اللغويّ العربيّ الحديث: مدارات القراءة وحدود التأصيل

أ. د. نورة صبيان بخيت الجهني[1]

(قدم للنشر في ٠٨/ ٠١/ ١٤٤٢هـ؛ وقبل للنشر في ٢٢/ ٠٢/ ١٤٤٢هـ)

المستخلص: يتناول هذا البحث بالدراسة والنقد نحو النصّ ومداراته والجدل حول تأصيله في التراث النحويّ؛ إذ يمثّل نحو النصّ علما حادثا في الدراسات العربيّة، ويكتسب هذه الحداثة من جهة محاولات تأصيله في التراث النحويّ، والتعرّف إلىٰ أعلامه ومراجعه في الدراسات الغربيّة؛ وإنّ هذه المفارقة أنشأت جدلا في الدرس اللغويّ الحديث محصّلها تباين في مقاربة هذا العلم.

الكلمات المفتاحية: التراث النحويّ، جدل، الدراسات العربية، الدراسات الغربيّة.

* * *

(١) أستاذ العلوم اللغوية بقسم اللغة العربية، كلية اللغات والترجمة، جامعة جدة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: d.alsadek.mu.edu.sa

Text Grammar in Modern Linguistic Arabic Works: Scopes of Readings and the Establishment of Origin Limitations

Prof. Nora Subian Bakheet Aljuhani

(Received 27/08/2020; accepted 09/10/2020)

Abstract: This research delves into the study and critique of the approach towards the text, its trajectories, and the debate surrounding its grounding in the grammatical heritage. The study explores the emergence of the textual approach as a contemporary science in Arabic studies. It gains its modernity from attempts to ground it in the grammatical heritage and to identify its figures and references in Western studies. This dichotomy has sparked a debate in modern linguistic studies, resulting in a divergence in the approach to this field.

Keywords: Grammatical Heritage, Debate, Arabic Studies, Western Studies.

***

مقدّمة

يعتبر النصّ في الثقافة العربيّة بمثابة التحوّل البنيويّ الذي طرأ علىٰ مرحلة الشفويّ، فلئن كانت مرحلة المشافهة مؤسّسة للتحوّل الكتابيّ، فإنّ المرحلة الكتابيّة صاغها عقل كتابيّ هو في جوهره مفارق للعقل الشفويّ، وقد تجسّد في نصوص تختلف أجناسها الأدبيّة، ولكنّها نصوص لغويّة في جوهرها مبنيّة علىٰ نسيج من الكلام، لذلك كان مدار هذا البحث علىٰ نحو النصّ (Text grammar) باعتباره علما حديثا تشكّل بعد نحو الجملة، لكنّه يختلف عنه في مفاهيمه وكيفيّات إجرائه، ويتداخل مصطلح نحو النصّ مع تسميات لسانيات النصّ ولسانيّات الخطاب، وهو تداخل أملته حداثة هذا العلم وعدم استيفاء أبوابه والترجمات العربيّة، وتكمن أهميّة البحث في النتائج المترتّبة علىٰ دراسة مفهوم نحو النصّ والجدل حوله، فقد انقسم الدارسون إلىٰ صنفين: صنف يرىٰ أنّ نحو النص اطرد في المصنّفات اللغويّة القديمة، وصنف يقرّ أنّ منشأه غربيّ، وأن النحو العربيّ هو نحو جملة لا نحو نصّ.

ويمكن أن نحصر أهداف البحث في الهدفين التاليين:

- البحث في دلالة مفهوم نحو النصّ في المصادر الغربيّة وعبوره إلىٰ الكتابات الأدبية واللّغويّة العربيّة الحديثة.

- قراءة الجدل المعرفيّ العربيّ حول أصول مفهوم نحو النصّ وهل هو أصيل في الثقافة العربية أم هو علم له مرجعيّة غربيّة؟

أمّا أدبيّات البحث فيمكن أن نحصرها في المراجع التالية:

- في النحو العربيّ، نقد وتوجيه، المخزومي، مهدي، بيروت، منشورات دار الرائد العربيّ، ١٩٨٦م.

- انفتاح النصّ، النصّ والسياق، يقطين، سعيد، بيروت، المركز الثقافي العربيّ، ١٩٨٩م.

- الأسلوبيّة ونظريّة النصّ، إبراهيم، خليل، بيروت، المؤسسة العربيّة للدِّراسات والنشر، ١٩٩٧م.

- مباحث حول نحو النصّ عبد العظيم، فتحي خليل، جامعة الأزهر، كليّة اللغة العربيّة، د.ت.

- مدخل إلىٰ علم لغة النصّ، أبو غزالة، إلهام، ط:٢، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٩م.

- علم اللغة النصّي بين النظريّة والتطبيق، الفقي، صبحي إبراهيم، مصر، دار قباء، ٢٠٠٠م.

لم تتطرّق هذه الأدبيّات إلىٰ الموضوع من جهة الجدل بين اللغويّين فيما يتعلّق بنحو النصّ، فجلّها كان توصيفيّا تأريخيّا لظهور نحو النصّ، أو أنّها تدرسه في مصنّفات اللغويّين القدامىٰ محاولة بيان اطراده فيها، وأمّا المنهج المتّبع في هذا البحث، فهو منهج تحليليّ نقديّ استقرائيّ، يحلّل آراء المحدثين ثمّ يتناولها بالنقد لإثراء الموضوع وبيان وجوه الاختلاف فيه، وأمّا خطّة البحث وعناصره الفرعيّة فقد تمّ تقسيمها كالتالي:

- **مقدّمة.**
- **نحو النصّ: بحث في المصطلح والدلالة.**
  - أ- في حدّ النصّ.
  - ب- نحو النصّ في مقالات اللسانيين.
  - ج- نحو النصّ أو القراءة الحادثة للنصوص.
- **نحو النص: محاولات التأصيل في التراث النحويّ وحدودها.**
- **خاتمة.**

***

(١) نحو النصّ: بحث في المصطلح والدلالة

* أ- في حدّ النصّ:

يعرّف الدكتور محمّد الشاوش النصّ عند النحاة القدامىٰ بأنّه «لفظ دالّ علىٰ معنىٰ الحدث لا يفارقه، ومن أدلّة ذلك عدم عثورنا علىٰ استعمالات عمدوا فيها إلىٰ جمع النصّ علىٰ نصوص، باعتبار أنّ الجمع أفضل رائز للاستدلال علىٰ مفارقة المفردة لقسم المصادر وانتقالها لقسم الأسماء»(١)، ولمّا كان النصّ المكتوب مقروءا، فقد تمّت الإحاطة بقواعده اللغويّة والأسلوبيّة. ويمكن في هذا السياق تقديم تعريفات متباينة لعلاقة النصّ بالكتابة ولماهيّة النصّ عند روّاد اهتمّوا بتشكّل النصّ وسيرورته عبر التاريخ، يقول بول ريكور (Paul Ricoeur): «ماذا يحدث للخطاب حين يتحوّل من الكلام إلىٰ الكتابة؟ تبدو الكتابة للوهلة الأولىٰ، أنّها لا تدخل سوىٰ عالم خارجيّ ومادّي صرف، هو التثبيت، الذي يجعل حدث الخطاب في منأىً عن الدمار»(٢)، فقد بيّن بول ريكور أنّ الكتابة تحوّل الخطاب من سياق الانفلات إلىٰ سياق الصون من الضياع، فالكتابة تؤبّد النصّ، وهذا ما عبّر عنه في قوله: «لنسمّ نصّا كلّ خطاب ثبّتته الكتابة، تبعا لهذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسّسا للنصّ نفسه»(٣)، فالتلازم بين الكتابة والنصّ بيّن، إذ النصّ هو نتاج للكتابة بما هي تصريف للكلام في حروف وألفاظ، وجدير بالذكر أنّ مفهوم النصّ متغيّر ومتبدّل بتغيّر المقاربات والمناهج، فهو مصطلح غير مستقرّ، وإنّ النصوص المكتوبة في الثقافة العربيّة تعدّدت أجناسها ومشاربها، واختلفت بذلك مستويات اللغة فيها، إذ يفرض الجنس الأدبيّ لغة محدّدة، فليست اللغة الشعريّة هي نفسها المستعملة في النثر، لذلك

(١) أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النصّ، الشاوش، محمّد، (ص١٨٦).

(٢) من النصّ إلىٰ الفعل، أبحاث التأويل، ريكور، بول، (ص٨٥).

(٣) المرجع السابق، (ص١٠٥).

كان النقّاد على وعي بتغيّر مفهوم النصّ.

ويشير كلاوس برينكر (Klaus Brinker) الباحث الألمانيّ في علوم النصّ إلى أنّ التعريف اللغويّ للنصّ إشكاليّ، فلا نظفر بتعريف موحّد، وقد التزم الباحث ببعض التعريفات أهمّها أنّ مفهوم النصّ في علم اللغة النصّي قائم على أساس النظام اللغويّ، وقد تطوّر هذا الاتجاه استنادا إلى علم اللغة البنيويّ والنحو التوليديّ التحويليّ «إذ يحدّد علم اللغة التحويليّ التوليديّ موضوعه بأنّه قدرة المتكلّم المختصّ للغة ما على بناء عدد كبير غير محدّد من الجمل وفهمه، ويفترض في ذلك الشكل ذاته لنظام قاعديّ أنّه ينبغي أن يولّد كمّا لا نهائيّا من جمل لغة ما»(١)، وإنّ الاسترسال في الجمل يشكّل النصّ، لذلك وسم باللغويّ، بيد أنّ التسمية «علم النص» ثم تحوّله إلى «نحو النص» لم تستقرّ إلاّ في مرحلة لاحقة فـ«لم يبدأ نقد أساسيّ إلى ذلك الاقتصار للبحث اللغويّ على مجالات الجملة إلاّ مع نشوء ما يسمّى بعلم لغة النصّ في منتصف الستينات، وساد النظر إلى أنّ أعلى وحدة لغويّة وأشدّها استقلالا، والعلامة اللغويّة الأساسيّة ليست «الجملة» بل «النص»، ولذلك يجب أن يتوجّه التحليل اللغويّ بشكل أقوى ممّا هو قائم حاليّا إلى النصّ»(٢).

إنّ النحو التقليديّ والنحو البنيويّ يقومان على دراسة الترابط النصّي للجمل كالإحالة وموقع الجملة، من تقديم وتأخير والزمن وأدوات الربط، وغير ذلك من الأبنية اللغويّة «غير أنّ النصّ هنا لا يقوم إلاّ بوظيفة سياق لوصف علاقات لغويّة نحويّة أو معجميّة متجاوزة حدود جملة ينظر إليها على أنّها مستقلّة، ومع تجاوز حدّ الجملة والاشتمال على جملة سياقيّة عند الوصف النحويّ، فإنّه برغم ذلك نادرا ما مسّت مشكلة «النص» بمفهوم صريح للنصّ»(٣)، وإنّ هذا الإقرار يثبت أنّ تطوّر نظريّة النصّ كانت تدريجيّا، وقد حال دون ذلك توصّل علم اللغة إلى

(١) التّحليل اللّغوي للنّص، مدخل إلى المفاهيم الأساسيّة والمناهج، برينكر، كلاوس، (ص٢٣).

(٢) المرجع السابق، (ص٢٣).

(٣) المرجع السابق، (ص٢٣).

تجاوز منهجيّ لمفهوم الجملة إلىٰ نحو النصّ. وقد عرّف النصّ في هذا السياق المبهم أنّه «تتابع متماسك من الجمل، غير أنّ هذا يعني أنّ الجملة - كما كانت الحال من قبل - ينظر إليها علىٰ أنّها معلم رئيسيّ في تدرّج وحدات لغويّة؛ أي تعدّ وحدة بناء النصّ. والنتيجة الأهمّ لهذا التصوّر هو أنّ مفهوم التماسك النصّي المركزيّ بالنسبة لعلم لغة النصّ قد فهم فهما نحويّا محضا، فهو لا يسم في هذا الاتجاه البحثيّ اللغويّ النصّي إلاّ العلاقات النحويّة - الدلاليّة بين الجمل أو بين عناصر لغويّة في جمل متعاقبة»(١).

ويبدو جليّا أنّ التمثّل الأوّل لعلم لغة النصّ قلّص من انفتاح نحو النصّ علىٰ علوم أخرىٰ، ولعلّ أقربها علوم الدلالة التي تحمل النصّ علىٰ التأويل والاستنباط والمعاني الأول والثواني، وقد استمرّ هذا التصور إلىٰ حدود السبعينات من القرن الماضي لما ارتبط مفهوم النص في علم لغة النصّ بمبدأ التواصل وعاب علىٰ الاتجاه الأوّل اعتباره وحدة مستقلّة ثابتة وساكنة ومتتالية من الجمل، بل غدا النصّ لدىٰ أصحاب هذا الاتّجاه الجديد منفتحا علىٰ القراءة وما تتضمّنه من تأويلات، وهو تطوّر مبني علىٰ اعتبار عمليّة التواصل أساسيّة في مفهوم النصّ، وإنّ مرجعيّة هذا التصوّر منشدّة إلىٰ نظريّة الفعل الكلاميّ المتطوّرة داخل الفلسفة اللغويّة الأنجلوسكسونيّة، ومن أهمّ أعلامها (ج.ل، أستين J. L Austin، و ج. ر سيرلJ.R Searle)، وفي هذا الإطار لم يعد النص يفسّر بأنّه متتالية من الجمل المترابطة نحويّا، بل أصبح فعلا لغويّا معقّدا، أقطابه المتكلّم والسامع والقارئ، وما يرتبط بذلك من المقام والمرجعيّات(٢).

ويمكن أن نجمع التصوّرين السابقين في وصف واحد، محصّله اعتبار مفهوم النصّ طيلة هذه المرحلة التاريخيّة علىٰ أنّه وحدة لغويّة وتواصليّة في الوقت نفسه، وقد مهّد هذا المفهوم إلىٰ ظهور نحو النصّ الذي ارتبط بالتماسك النصّي في فترة لاحقة، وهو مصطلح وظيفيّ في علم

(١) التّحليل اللّغوي للنّص، مدخل إلىٰ المفاهيم الأساسيّة والمناهج، برينكر، كلاوس، (ص٢٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص٢٥).

النصّ مقترن بالنظام اللغويّ، وفي هذا السياق تبيّن جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) أنّ علاقة النصّ باللغة، هي من قبيل إعادة التوزيع، كما يمثّل النصّ عمليّة استبدال أي عمليّة تناصّ، لتتقاطع فيه جملة من الأصوات المختلفة متداخلة الدلالة والإيحاء، ومن هنا أصبح النصّ عند جوليا كريستيفا لا يتقيّد بالنظام اللغويّ فحسب، وإنّما بما يحمل من دلالة؛ الدلالة التي تعني «العمل المتعلّق بالتمييز والتنضيد والمواجهة الذي يمارس داخل اللسان، ويطرح علىٰ خطّ الذات المتكلّمة سلسلة دالّة تواصليّة ومبنيّة نحويّا، وسيكون علىٰ التحليل الدلائلي الذي سيدرس هذه الدلائليّة وأنماطها داخل النصّ، أن يخترق الدالّ- ومعه الذات والدليل والتنظيم النحويّ للخطاب، بغية الوصول إلىٰ الدائرة التي تتجمّع فيها بذور ما سيتكفّل بعمليّة الدلالة في حضرة اللسان»[1].

أمّا في الدراسات الأكاديميّة العربيّة المعاصرة، فقد تباينت التعريفات دون أن تجمع علىٰ تعريف موحّد للنصّ، «فبعض تعريفات النصّ تعتمد علىٰ مكوّناته الجمليّة وتتابعها، وبعضها يضيف إلىٰ تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد علىٰ التواصل النصّي والسياق، وبعض رابع يعتمد علىٰ الإنتاجيّة الأدبيّة أو الكتابة وبعض خامس يعتمد علىٰ جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّا»[2]. وإنّ هذا التباين في تعريف النص يعود بدوره إلىٰ تباين في المناهج والمدارس الأدبيّة، فلم يستقرّ النصّ علىٰ تعريف محدّد، وهذا دالّ علىٰ ثراء مفهومه وحداثة تعريفه لاسيّما في المقاربات المعاصرة.

ونطّلع في الدراسات اللسانيّة الحديثة علىٰ محاولات جادّة في تعريف النص ومقاربته لغويّا، ومن هذه الأعمال كتاب «لسانيّات النص، مدخل إلىٰ انسجام الخطاب» للدكتور محمّد خطّابي، يقول: «إنّ النصّ وحدة دلاليّة، وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقّق بها النصّ، أضف

(١) علم النصّ، كريستيفا، جوليا، (ص٨-٩).

(٢) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، عفيفي، أحمد، (ص٢١).

إلىٰ هذا أنّ كلّ نصّ يتوفّر علىٰ خاصيّة كونه نصّا يمكن أن يطلق عليها «النصيّة»، وهذا ما يميّزه علىٰ ما ليس نصّا، فلكي تكون لأيّ نصّ نصيّة يجب أن يعتمد علىٰ مجموعة من الوسائل اللغويّة التي تخلق النصيّة، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة»[1]، ويستنج الدكتور محمد الخطابيّ هذا المفهوم للنصّ من أطروحة هاليداي (Halliday)، فالنصّ في جوهره متتالية من الجمل، ولكنّ العلاقات بين هذه الجمل لابدّ أن تكون منطقيّة وليست اعتباطيّة[2]، ويبدو هذا الفهم محدودا، لأنّه قائم علىٰ تصوّر نحويّ تكون فيه تراتبيّة بين جمل سابقة وجمل لاحقة، في حين إنّ مفهوم النصّ أوسع، فقد يكون مكتوبا أو منطوقا، أو حوارا، وقد يختلف جنسه الأدبيّ، وهو ما يناقض التعريف النحويّ القائم علىٰ اعتبار النصّ متتالية من الجمل، لذلك كانت الوحدة الدلاليّة أهمّ سمة من سمات النصّ، وما الجمل إلاّ الواسطة لتحقّق هذه الدلالة[3]. ومن هذا المنطلق جاء مفهوم الاتساق الدلاليّ داخل النصّ، وقد استند الباحث محمدّ الخطابيّ إلىٰ ما ذهب إليه «هاليداي» في مفهوم الاتساق باعتباره مفهوما دلاليّا يحيل إلىٰ العلاقات المعنويّة داخل النصّ، ويمكن أن تتّخذ هذه العلاقة بعدا تبعيّا – حسب هاليداي – لا سيّما أنّه لا يمكن تأويل عنصر دون أن يكون الرجوع إلىٰ العنصر الذي يحيل عليه، كما أنّ الاتّساق لا يتحقّق في المستوىٰ الدلاليّ فحسب، وإنّما أيضا في النحو والمعجم، و«يعني هذا التصوّر أنّ المعاني تتحقّق كأشكال، والأشكال تتحقّق كتعابير، وبتعبير أبسط: تنقل المعاني إلىٰ كلمات والكلمات إلىٰ أصوات أو كتابة»[4].

ويعرّف الدكتور الأزهر الزنّاد النصّ، فيقول: «فالنصّ إذن علامة كبيرة ذات وجهين: وجه

(١) لسانيّات النص، مدخل إلىٰ انسجام الخطاب، خطابي، محمّد، (ص١٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص١٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص١٣).

(٤) المرجع السابق، (ص١٥).

الـدالّ ووجـه المـدلول. ويتـوفّر في مـصطلح «نـصّ» في العربيّـة وكـذلك في مقابلـه في اللغـات الأعجميّة Texte معنىٰ «النسيج»، فالنصّ نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد، وهو ما نطلق عليه مصطلح «نص»[1]. فالنصّ مصطلح متداول في الثقافة العربيّة وغيرها من الثقافات، وهو كلمات تأتلف بعضها مع بعض ممّا أكسبها معنىٰ النسيج، وقد كان لمفهوم النصّ مكانة في علوم اللسان فحظي باهتمام بالغ، وكان أحدث هذه العلوم وأدقّها علم اللسانيّات، العلم الذي أكسب النصّ مكانة مهمّة، فتفرّعت مجالات مقارباته.

أثّر النصّ بمفهومه الواسع في سياقات كثيرة في الثقافة العربيّة، وقد أفرد نصر حامد أبو زيد كتابا عنوانه: «مفهوم النص»، واعتبر الثقافة العربيّة الإسلاميّة ثقافة نصّ، يقول: «وليس من قبيل التبسيط أن نصف الحضارة العربيّة الإسلاميّة بأنّها حضارة «النصّ»، بمعنىٰ أنّها حضارة أنبتت أسسها وقامت علومها وثقافتها علىٰ أساس لا يمكن تجاهل مركز «النص» فيه»[2]، فالنصّ هو مدار العلوم والثقافة، وهو يحوي أنظمة رمزيّة شكّلتها الجماعات البشريّة بالتوازي مع تشكّل العمران البشريّ، لكنّ هذا النصّ لم يكن ساكنا، بل كان في سيرورة وتغيّر عبر جدل أنشأه الإنسان معه، لأنّ النصّ إن بقي ساكنا لا ينشئ حضارة ولا علوما ولا ثقافة فـ«الذي أنشأ الحضارة، وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النصّ من جهة أخرىٰ»[3]، وإنّ جدل الإنسان مع النصّ كان وفق آليّات كثيرة، لعلّ أهمّها آليّتي التأويل والتفسير، ويكون ذلك بالاشتغال علىٰ النصوص وتطويعها لما يصلح لتطوير العمران والحضارة، فيلبّي النصّ بذلك حاجة ماديّة، وفي هذا المنحىٰ يقول نصر حامد أبو زيد:» إذا كانت الحضارة تتركّز حول

(١) نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، (ص١٢).

(٢) مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، نصر حامد، (ص٩).

(٣) المرجع السابق، (ص٩).

«نصّ» بعينه يمثّل أحد محاورها الأساسيّة، فلا شكّ أنّ «التأويل» - وهو الوجه الآخر للنصّ - يمثّل آليّة هامّة من آليات الثقافة والحضارة في إنتاج المعرفة، قد يكون هذا «التأويل» مباشرا، أي ناتجا عن تعامل مباشر مع النصّ وتوجّه قصديّ إلىٰ استخراج دلالته ومعناه»(١)، ويهمّنا في هذا الشاهد أن نبيّن أنّ التأويل قد يتطوّر وتتنوّع آليات اشتغاله بتنوّع النصوص وثرائها، ولا شكّ أنّ عمليّة التأويل لم تخرج عن السياق اللسانيّ النحويّ، فنحو النص هو العلم الذي ألحق بالنصّ باعتباره خطابا شكّلته الكتابة، فهو لاحق له ويكتسب طابعا تأويليّا.

يتشكّل كلّ نصّ في ثقافة تحمل أبنية رمزيّة مختلفة، كما أنّه ينتمي إلىٰ سياق تاريخيّ ما، وجنس أدبيّ معيّن، محفوف بجملة من المعطيات تحدّد هويّته الأدبيّة، فهو «غير قابل لأن توضع له معايير من خارجه تحدّد جمله وتراكيبه، ولا يفعل ذلك سوىٰ النصّ نفسه بدلالته القصديّة. ومن هنا فإنّ النصّ المنجز لا يتمّ تحليله لغويّا إلاّ عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقّي، بين جسد النصّ ومدلولاته الحديثة والزمانيّة والمكانيّة، إنّه باختصار شديد كائن حيّ يتشكّل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغويّ دورا»(٢)، فالنصّ بهذه المعاني حمّال أوجه من التأويل والتفسير، ولا يتأتّىٰ ذلك إلاّ بالإلمام بسياقاته المختلفة، فتحليل القصيدة الجاهليّة يختلف عن تحليل قصيدة من الشعر الحرّ أو المقامة أو الحكاية المثليّة، بيد أنّ الجامع بين هذه الأجناس أنّ نحو النصّ وظيفيّ في مقاربة هذه النصوص علىٰ اختلاف مرجعيّاتها باعتباره منهجا لقراءة معمّقة لكلّ النصوص.

*** ب- نحو النصّ في مقالات اللسانيين:**

يفسّر فولفجانج هاينمان (Wolfgang Heinemann) وديتر فيهفيجر (Dieter Viehweger) في كتابهما «مدخل إلىٰ علم اللغة النصّي» نحو النصّ بقولهما: «تنطلق تصوّرات نحو النصّ من

(١) مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، نصر حامد، (ص٩).

(٢) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٤٧).

فرضيّة أنّ النصّ في الأساس يمكن تحديده، بأنّه مركّب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق»[1]. وهو تعريف متداول ومنتشر بين علماء اللسان، ويحدّد خصائص النصوص في نحو النصّ في التعاقب الأفقيّ للجمل وتحديد الجهة اليسرىٰ واليمنىٰ والاستقلال النسبيّ والتناسق داخل تتابع الجمل والعلاقات الدلاليّة بين المكوّنات السطحيّة[2]. وهي جملة من الخصائص التي يتحقق بها الاتساق النصّي، ومن ثمّة يتحوّل مادّة للدراسة اللغويّة، بيد أنّ هذا التعريف ظلّ منشدّا أيضا إلىٰ التصوّر الكلاسيكيّ الذي يعتبر النصّ متتالية من الجمل، وهو تعريف جوهريّ، فـ«تكون وظيفة نحو النصّ بهذا الفهم إذن، استنباط قواعد النصّ للربط بين الجمل...تلك التي تقدّم معلومات دلاليّة ونحويّة، ويمكن أن تشترك مع سائر مكوّنات النّحو في توضيح مفهوم النصّ المثاليّ في لغة ما»[3]. ويمكن أن نلاحظ هنا، تطوّرا في سياق هذا التعريف، إذ غدت الدلالة جزءا من نحو النصّ وركنا من أركانه، وهو ما يسهم في الخروج من مجال القواعد النحويّة المجرّدة إلىٰ الانفتاح علىٰ جانب تأويليّ في النصوص.

أمّا في الدراسات الأكاديميّة العربيّة، فيعتبر الدكتور سعد مصلوح أنّ نحو النصّ ظهر بعد تراكم معرفيّ في الدراسات اللغويّة العربيّة، وقد مهّد له نحو الجملة لزمن طويل، ويشير أنّ التعرّف إلىٰ أسباب ظهور نحو النص يكشف في الآن نفسه عن المقاصد من تأسيس هذا العلم الحادث في الدراسات العربيّة «ويأتي في مقدّمة الأسباب ما اعترىٰ الدرس اللسانيّ مع مطلع القرن العشرين من عزوف عن المعالجة الفيلولوجيّة للغة النصوص القديمة المدوّنة، ومن التفات عنها إلىٰ الوظيفة الاجتماعيّة للغة، وإلىٰ الدور التواصليّ الذي هو جوهر وظيفة اللغة في العمليّات الاجتماعيّة»[4]،

(١) مدخل إلىٰ علم اللغة النصّي، فيهفيجر، فولفجانج هاينه من وديتر، (ص٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص٢٥).

(٣) المرجع السابق، (ص٢٥).

(٤) العربيّة، من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، مصلوح، سعد، (ص٤١٠).

وأدّىٰ هذا التصوّر إلىٰ اضطلاع اللسانيّات بدور الريادة في مقاربة العلوم الإنسانيّة، «ومن هناك أدرك علماء اللسان أنّ اجتزاء الجمل يحيل اللغة الحيّة الطازجة فتاتا وتفاريق من الجمل المصنوعة المجفّفة أو المجمّدة، وهي الصيغة الغالبة علىٰ الشواهد النحويّة والبلاغيّة والأدبيّة، لا في نحو العربيّة وحدها، بل في سائر أنحاء اللغات المحصورة في إطار الجملة»[1]. فقد كان اللغويّون علىٰ وعي بأنّ نحو الجملة هو نحو تقعيديّ لا ينفصل عن الدلالة والسياق، وإنّ هذه الصلة الطارئة بين اللسانيّات والدرس الأدبيّ التي ظهرت في أوروبا كان لها أثر عميق في الدراسات اللغويّة العربيّة الحديثة، وكانت البداية مع المدرستين البنيويّة السلوكيّة Stuctural behaviorism والتوليديّة التحويلية، فلم يعد النصّ أو الخطاب متتالية من الجمل[2]، «وأوجب أن يتّسع مفهوم النحو ليصبح مكوّنا من مكوّنات نظريّة شاملة تفسّر السلوك الإنسانيّ. كذلك أنكر «بايك» علىٰ اللسانيّين انصرافهم عن دراسة النصّ الأدبيّ لصالح نقّاد الأدب، مع ما للمعالجة اللسانيّة من أهميّة خاصّة في تقديم الأساس الموضوعيّ للأحكام النقديّة»[3].

من الدواعي المهمّة أيضا التي استدعت ظهور علم نحو النصّ بروز علم اللسانيات، والكلام علىٰ وظيفة اجتماعيّة للغة، إذ لم تعد اللغة علما يهتمّ بالبنىٰ المجرّدة والبحث عن صيغها ووظائفها، بل تعدّت ذلك للاضطلاع بوظيفة اجتماعيّة عمادها التواصل الذي يعتبره علماء اللسانيّات جوهر العمليّات الاجتماعيّة، ويؤكّد هذا التصوّر الذي يسهم في تطوير نحو النصّ أنّ الاهتمام بالجمل المجرّدة يحوّل اللغة إلىٰ قوالب جاهزة وقواعد نحويّة أسّست بناء علىٰ جمل ليس لها سياق[4]، أمّا النصوص فتتميّز بالثراء والانفتاح علىٰ مضامين مختلفة

(١) العربيّة، من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، مصلوح، سعد، (ص٤١٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ص٤١٠-٤١١).

(٣) المرجع السابق، (ص٤١١).

(٤) ينظر: John Lyons, (1995) Linguistic Semantics: an introduction, P 30.

باختلاف جنسها الأدبيّ، وتحقّق للقارئ فضاء من الإبداع والتخييل والإغراق في المعاني الأدبيّة والفلسفيّة، كما أنّ هذه الوظيفة الاجتماعيّة تثري النصوص وتنفتح علىٰ نصوص مرتبطة بسياق تواصليّ يتّسع من خلالها مفهوم النحو ويتجاوز مدارات الجملة الضيّقة[1].

وأمّا الدكتور الأزهر الزنّاد فيقول: «يدرس نحو النصوص ما يعرف بـ«النصّ» وتعريفاته متعدّدة هي الأخرىٰ، يقوم بعضها علىٰ مفهوم التعدّد في أجزاء الملفوظ الواحد، ويذهب بعضها إلىٰ اعتبار كلّ ملفوظ، مهما كان حجمه، نصّا؛ فيكون اللفظ المفرد وما هو في حدود الجملة وما تجاوزها نصّا؛ إذ تتّفق كلّها في تركّبها من سلسلة من الوحدات التي تقبل التحليل إلىٰ وحدات أصغر؛ ويتواصل هذا التقسيم حتّىٰ يستوفي جميع الأقسام الممكنة، وبعضها يطلق «النصّ» علىٰ كلّ الوحدات اللغويّة ذات الوظيفة التواصليّة الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ، منها الانسجام والتماسك والإخباريّة»[2]. فنحو النصّ يبحث في ما به يتشكّل النصّ نظاما لغويّا محكما ويولّد المعنىٰ الذي يخضع لعمليّة تأويليّة تختلف من قارئ إلىٰ آخر، وقد تطوّر نحو النصوص بتطوّر لسانيّات النصوص، وكانت اللسانيّات التوليديّة من أهمّ المباحث التي طوّرت نحو النصّ في حقبة تاريخيّة ما «إذ فتحت النظريّة التوليديّة، في آخر ما وصلت إليه من مبادئ، أبوابا أخرىٰ أمام «نحو النصوص»؛ ويتبيّن ذلك من خلال عودتها إلىٰ مبدأ العمل والربط النحويّين (نظريّة العامليّة والرابطيّة)؛ وهما يعملان في مستوىٰ الجملة ومستوىٰ النصّ، ولئن لم يهتمّ أبرز أعلامها «شومسكي» بالنصّ، فقد عمل كثير من الباحثين في هذا الإطار النظريّ علىٰ ولوج النص من خلال المبادئ التي قامت عليها تلك النظريّة مثل العمل والربط»[3].

وقد عرّف د. أحمد عفيفي نحو النصّ بأنّه من المصطلحات التي «حدّدت لنفسها هدفا

(١) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٤٠).

(٢) نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الزّنّاد، الأزهر، (ص١٥).

(٣) المرجع السابق، (ص١٧).

واحدا، وهو الوصف والدراسة اللغويّة للأبنية النصيّة، وتحليل المظاهر المتنوّعة لأشكال التواصل النصّي»[1]، ويكتمل هذا الهدف بوجود علوم أخرىٰ مثل علم النصّ وعلم اللغة النصّي، ونظريّة النصّ، بيد أنّ مصطلح نحو النصّ هو الأقرب إلىٰ تحقيق هدف الدراسة اللغويّة للأبنية النصيّة، وتبقىٰ هذه العلوم عاضدة كما أنّها مثّلت تمهيدا لبروز نحو النصّ في الدراسات اللغويّة الحديثة. وقد تجلّىٰ هذا التداخل المصطلحيّ بوضوح حين اعتبر فان دايك Van Dijk أنّ علم لغة النصّ هو العلم الذي يدرس نحو النصّ وليس عاضدا وممهّدا له «وذلك ضمن منهجه العام القائم علىٰ شرح معايير بناء النصّ، وجوانب الاستخدام اللغويّ المهمّة، وخاصّة إنتاج النصّ من خلال قواعد وشروط وأهداف مغايرة لعلم اللغة النظاميّ ممّا جعله في طريقه للاستقلال عن العلوم الأخرىٰ»[2]، وإنّ مثل هذا التصوّر الذي ذكره فان دايك، هو تصوّر تقليديّ يولي أهميّة كبرىٰ لعلم اللغة باعتباره علما قديما لا سيّما أنّ فان دايك يعتبر من روّاد علم النصّ تاريخيّا، ويشير الدكتور أحمد عفيفي إلىٰ أنّ فان دايك هو الذي وضع تصورا كاملا لنحو النصّ منذ بداية عام ١٩٧٢م، متجاوزا الآراء التي كانت مطروحة عن نحو النصّ ومحاولا إقامة «أنحاء النصّ» في كتابه «Some Aspects of text grammar»[3]، ويتّضح جليّا أنّ نحو النصّ مرتبط بعلم اللغة النصّي وعلم النصّ «وهكذا يكون نحو النصّ متساوقا في أوّل الأمر مع علم اللغة النصّي، وعلم النصّ، ونظريّة النصّ إلىٰ أن أصبح في طريقه للاستقلال علىٰ يد فان دايك وهاليداي وروبرت دي بوجراند وآخرين»[4]. وأشير في هذا السياق التاريخيّ أن استقرار مصطلح نحو النصّ دون

(١) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٣١).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٢).

(٣) المرجع السابق، (ص٣٣).

(٤) المرجع السابق، (ص٣٤). وينظر: (معاني: أنحاء النص، علم اللغة النصّي، وعلم النصّ، ونظريّة النصّ، التّحليل اللّغوي للنّص) التّحليل اللّغوي للنّص، مدخل إلىٰ المفاهيم الأساسيّة والمناهج، (ص٢١-٢٧).

غيره من المصطلحات كان بسبب تحوّله إلىٰ مصطلح وظيفيّ يلخّص كلّ العلوم التي مهّدت له أو أحالت عليه، كما أنّ هذا التفرّع المصطلحيّ لم يكن مناسبا في الدراسات اللغويّة لما يمكن أن يخلق من فوضىٰ مفاهيميّة تؤديّ إلىٰ لبس في الدرس اللسانيّ بأكمله(١).

*** ج- نحو النصّ أو القراءة الحادثة للنصوص:**

إنّ لنحو النصّ دورا جوهريّا في مقاربة النصوص وشرحها، لا سيّما أنّ النصّ الأدبيّ قد تطوّر بتطوّر أجناسه الأدبيّة، وظهر عدد من المفاهيم النقديّة التي استوجبت نحو النصّ باعتباره الوسيلة التي يمكن من خلالها الكشف عن المسكوت عنه في هذه النصوص واستجلاء مقاصدها ومعانيها، فـ«نحو النصّ ارتبط ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب ووجود مذاهب نقديّة جديدة تركّز علىٰ النصّ كبنية كليّة. لا علىٰ الجمل باعتبارها بنىٰ فرعيّة، وعلىٰ هذا اجتذبت النصوص علم النحو بناء علىٰ وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصيّة، حيث صنع ذلك تطوّرا واضحا من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ الذي يشمل النصّ وسياقه وظروفه وفضاءاته، ومعانيه المتعالقة القبليّة والبعديّة مراعيا ظروف المتلقّي وثقافته وأشياء أخرىٰ كثيرة تحيط بالنصّ»(٢)، فقد تجاوز نحو النصّ الجملة باعتبارها وحدة دنيا في نسيج النصّ، وغدا العلم الذي يفسّر النصوص لغويّا، منفتحا علىٰ سياقاتها ومعانيها وإحالاتها المرجعيّة، كما أنّ اختلاف المناهج ساهم في إثراء نحو النصوص أو توجيهه توجيها يتناسب مع أساس المنهج وأهدافه.

أصبح نحو النصّ العلم الوظيفيّ في الدراسات اللغويّة، وقد استمدّ هذه القيمة من العلوم العاضدة التي ساهمت في إثرائه، فـ» كثير من الظواهر التركيبيّة لم تفسّر في إطار الجملة تفسيرا كافيا مقنعا. وربّما تغيّر الحال إذا اتجه الوصف إلىٰ الحكم علىٰ هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر

(١) للإحاطة بهذه الإشكاليّات، ينظر:

Halliday , M.A.K, (1985). An Introduction to functional grammar, London

(٢) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٣٧).

من الجملة، ويمكن أن تكون هذه الوحدة هي النصّ، ومن هنا فإنّ نحو النصّ يهتمّ في تحليلاته بضمّ عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة»[1].

وهكذا إذن، اكتسب نحو النصّ هذه الأهميّة لأنّه نجح في تطوير الدراسة من الجملة باعتبارها وحدة تركيبيّة دنيا تتركّب من كلمتين أو أكثر ولها معنىٰ مفيد مستقلّ إلىٰ دراسة النصّ، فنحو النصّ «يذهب في تحليله إلىٰ قواعد جديدة منطقيّة ودلاليّة وتركيبيّة ليقدّم شكلا جديدا من أشكال التحليل لبنية النصّ، وتصوّر معايير التماسك والترابط والانسجام، ولهذا تضافرت تقريرات اللسانيّين من أمثال بايك وهارتمان وجليسون وساندرز ولونجاكر وفان دايك وغيرهم علىٰ أنّ نحو النصّ بالنسبة لأيّ لغة بعينها هو أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النحو المصوّر في حدود الجملة»[2]، وبما أنّ النصّ هو متتالية من الجمل المنطقيّة، فإنّه حمّال معاني كثيرة وإيحاءات مختلفة، وتتنوّع مقاصده باختلاف الجنس الأدبيّ، من شعر ونثر ومقامة وخبر ورواية وأقصوصة، كما أنّ للنص بنية سطحيّة وعميقة تأتلف فيها المعاني وفق نظام لغويّ محكم يؤدّي إلىٰ التماسك النصيّ، وهو بذلك يتخطّىٰ نحو الجملة لأنّه علم يقتصر علىٰ بيان وظائف الكلمات وصيغ الأفعال والأبنية الإعرابيّة البسيطة، أمّا نحو النصّ فهو أشمل وأدقّ لأنّه يبحث في المعاني الثواني للأبنية الإعرابيّة «ومن هنا تغيّرت الأهداف وتحدّدت أهداف كبرىٰ جديدة نصيّة حيث عني علم اللغة النصّي في دراسته لنحو النصّ بظواهر تركيبيّة نصيّة مختلفة، منها كما يقول سوينسكي (Sowinski) علاقات التماسك النحويّ النصّي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحوريّة والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتحويل إلىٰ الضمير، والتنويعات التركيبيّة وتوزيعاتها في نصوص فرديّة، وغيرها من الظواهر التركيبيّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة

(١) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٣٩).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٩).

النصّ الكليّة»[1].

يمثّل نحو النص تتمّة للنصّ الأدبيّ، فهو يكشف غموضه والمسكوت عنه فيه، ويبحث في دلالة بناه الإعرابيّة[2]. وفي هذا الإطار يذكر د أحمد عفيفي: «إنّ تغيّر مهمّة النحو الذي يتّجه إلىٰ النصّ قد غيّر أهدافه بتعديلها، أو بوجود أهداف جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة، فالتحليل النحويّ اتجه إلىٰ النصّ وبالتالي جاء تغيّر المنهج والأهداف عاملا أساسا لضرورة الحاجة إلىٰ نحو النصّ»[3]. ولعلّ أهمّ ما طوّر نحو النصّ وأكسبه مزايا جديدة هو التحوّل من دراسة الجملة إلىٰ دراسة النص، فلم تكن الجملة قابلة إلىٰ إفاضة في تفسيرها، وإنّما هي ذات معنىٰ مستقلّ لا تترابط مع معان أخرىٰ، لذلك تسهل مقاربتها، وعند التحوّل إلىٰ النصّ غدت هذه الجمل مترابطة ومتماسكة وتفيد معاني مؤتلفة مع بعضها البعض، لذلك تطوّر نحو النصّ بتطوّر الجملة.

ويرىٰ الدارسون أنّ من الأسباب العميقة التي أسهمت في وجود نحو النصّ مسألة الترجمة «فيمكن للسانيّات النصّ أن تقدّم إسهاما لدراسات الترجمة، بعكس اللسانيات التقليديّة التي تعنىٰ بالنظم الافتراضيّة، لأنّ الترجمة من أمور الأداء، وليس امتلاك النحو والمعجم فقط كافيا للقيام بالترجمة؛ بسبب الحاجة إلىٰ الترابط في استعمالات اللغة، وذلك من المهام الأساسيّة لنحو النصّ، لذا يمكن أن يفيد كثيرا في هذا المجال في النقل من اللغات الأجنبيّة إلىٰ العربيّة أو العكس»[4]، وبلا شكّ تطرح الترجمة إشكاليّات جوهريّة لأنّها تنقل النصوص من لغة إلىٰ أخرىٰ، فيكون نحو النصّ وسيطا أساسا ليقارب بين النصّين المترجمين، ولا يباعد بينهما، فالنصّ الثاني

(١) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٣٩-٤٠).

(٢) ينظر: اللغة والإبداع الأدبيّ، العبد، محمّد العبد، (المقدّمة).

(٣) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٤٠).

(٤) المرجع السابق، (ص٤١).

الذي يترجم نصّا أصليّا لا بدّ أن يحافظ علىٰ جودته وسياقه ومعانيه، وأن يحاكيه محاكاة ليس فيها تحريف أو عدول عن الأصل.

وإذا كان نحو النص يهتمّ بتحليل النصوص، وذلك بالنظر في الأبنية اللغويّة واستجلاء معانيها الأوّليّة والحافة، فهذا إقرار بأنّ له مجالا محدّدا لا يمكن أن يتجاوزه أو يتعدّاه إلىٰ مجالات أخرىٰ، وإنّ تحديد نحو النصّ بمجال دون سواه يبيّن أنّه غدا علما مستقلاّ عن بقيّة العلوم، لكنّ الناظر في تاريخ هذا العلم يلحظ أنّه لم يكتمل بعد رغم التطوّر المطّرد في إرساء مفاهيمه، ولعلّ البحث في هذا العلم يقود إلىٰ تبيّن مجالات تبدو واضحة وتقع في مداراته ممّا يقرّبه إلىٰ الاستقلاليّة والثبات «فموضوعه محدّد في «ما يكون به الملفوظ نصّا»، وهو يختلف عن نحو الجملة اختلافا بيّنا، حيث يحدّد نحو الجملة مجموعة من القواعد للدراسة، محاولا إثباتها من خلال النماذج التي يمكن أن تصنع من أجل ذلك، أمّا نحو النص فيدرس النصّ لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، ولهذا فقضيّته الكبرىٰ هي تحديد القواعد الكبرىٰ التي تعترف للنص بنصيّته، فنحو النصّ Text grammar إنّما هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثيّة مركّبة، تمتدّ قدرتها التشخيصيّة إلىٰ مستوىٰ ما وراء الجملة»[1]، إذ يمكن تحديد مجالات نحو النصّ التي لم تتبلور بوضوح بعد، في أنّ نحو النصّ يدرس المكتوب والمتشكّل نصّا ثابتا؛ فهو يدرس النصّ المكتوب في أبنيته اللغويّة ودلالاتها، ويختلف عن نحو الجملة من جهة أنّه يدرس النصّ في جوهره، ويستنبط القواعد النحويّة منه التي تثبت أنّ النصّ جنس من أجناس القول المكتملة والقابلة للدراسة والتمحيص اللغويّ والدلاليّ[2]، بيد أنّ هذا الاختلاف لم يكن جوهريّا، فقد كان نحو النصّ نتاجا لنحو الجملة، وقد بيّن فان دايك ما لنحو النصّ من أهميّة بالغة تتجاوز نحو الجملة، فقد قسّم النحو إلىٰ ثلاثة مستويات؛ المستوىٰ الأوّل اصطلح عليه

(١) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٥٥).

(٢) ينظر: بناء الجملة العربيّة، عبد اللطيف، محمد حماسة، (ص٩-١٠).

«قواعد التحليل اللغويّ التواضعيّة»، وهذا المستوىٰ يركّز علىٰ البنية الشكليّة للنصّ، أمّا المستوىٰ الثاني، فقد سمّاه المستوىٰ الدلاليّ، فقد أقرّ فان دايك أنّ للنحو علاقة بالدلالة، وهي إحدىٰ مداراته، وترتبط الدلالة بإنتاج المعنىٰ، لذلك لا يختصّ نحو النصّ بالأبنية الإعرابيّة فقط، وإنّما يدرس ما تحيل عليه هذه الأبنية من دلالة، أمّا المستوىٰ الثالث، فهو المستوىٰ التداوليّ، ويهتمّ بدراسة وصفيّة للنصّ، إذ أنّ وصف بنية النص النحويّة والدلاليّة لم تعد كافية بل لابدّ من دراسة الخطاب[1]، ويتجلّىٰ هنا بوضوح التحوّل النسقيّ من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، فلا يمكن الفصل في نحو النص بين الأبنية النحويّة والدلالة والخطاب، ولا يمكن أن تقتصر الدراسة علىٰ الوظائف النحويّة، بل كيفية إجرائها في خطاب يتميّز بالتماسك والانسجام. ومن هذا المنطلق يتداخل نحو الجملة ونحو النصّ في الدراسة التي مدارها النصّ، لذلك كثيرا ما نجد عددا من الدارسين يماهون بين نحو الجملة ونحو النصّ، فـ» نحو النصّ لا يعترف باستقلاليّة الجملة، ونحو الجملة لا يتجاوز حدودها إلىٰ النصّ، ونظرا لقصور نحو الجملة وتضييق مساحة البحث فيه، وتحجيم وسائله اندفع البحث إلىٰ النظر في النصوص، بل ربّما كان هذا الاندفاع بالمنهج والرؤية التي قام عليها نحو الجملة، فنحو النصّ إذن يدرس النصّ من حيث هو بنية مجرّدة تتولّد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ نصّ»[2].

إنّ من أهمّ المرتكزات التي قام عليها نحو النصّ هو نحو الجملة؛ فقد ساهم في التمهيد له من جهة، وتطويره من جهة ثانية، رغم أنّهما ظاهريّا يختلفان في المرجعيّة، فنحو النص بعد أن استقرّ علما له قواعده ومراجعه نفىٰ استقلاليّة الجملة، بل درسها في صلتها بجمل متتالية تولّد نصّا متّسقا ومتماسكا، أمّا نحو الجملة فقد ظلّ في حدود أركان الجملة وفي حدود استخراج الأبنية الإعرابيّة المشكّلة لها والوظائف النحويّة، وإنّ هذا التداخل بين نحو الجملة ونحو النصّ

(١) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٥٥).

(٢) المرجع السابق، (ص٦٦).

يؤكّد ترابطهما، فكثير من اللغويّين المحدثين يولون أهميّة لنحو النصّ ولكنّهم في الوقت نفسه لا يقلّلون من النتائج التي توصّل إليها نحو الجملة باعتباره العلم الأسبق من نحو النص. وفي هذا السياق فإنّ فان دايك نقد نحو الجملة ورأىٰ في نحو النصّ العلم الأدقّ والأجدر، إلاّ أنّه استدرك وعاد إلىٰ الإقرار بالنتائج الموضوعيّة التي توصّل إليها نحو الجملة[1].

يتجلّىٰ نحو النصّ تتمّة لنحو الجملة، ويشير نسق تطوّره إلىٰ أهميّته في الدراسات النحويّة المعاصرة لا سيّما بعد انفتاحه علىٰ العلوم اللسانيّة[2]، وقد تشكّلت أولىٰ ملامحه عند استقلاله عن علم النصّ الذي مثّل الحاضنة الأولىٰ له. وتبرز أهميّته في تحوّله من مجال الدراسات اللغويّة الغربيّة إلىٰ فضاء النصوص العربيّة، ومن الأمور التي ذكرها الدكتور أحمد عفيفيّ فيما يخصّ نحو الجملة أنّ تداخلا مازال قائما بين نحو الجملة ونحو النصّ لا سيّما في توظيف المصطلحات والمفاهيم «فهذه السمات التي قيل إنّ نحو النصّ يستقلّ بها إنّما يشترك بعضها مع نحو الجملة، وعلىٰ سبيل المثال هذا المعيار (المقاميّة) أو رعاية الموقف والقصد...فنماذج نحو الجملة التي ترعىٰ المقام كثيرة. وليس ذلك متوقّفا علىٰ نحو النصّ»[3]، كما يشير الباحث إلىٰ أنّ كثيرا من الأحكام وردت مطلقة من قبل علماء نحو النصّ «حين يذهبون إلىٰ أنّ كلّ نصّ له ظروفه وسياقه، وأنّ أحكامه من داخله، وأنّ قواعد النصّ يعطيها النصّ عن طريق التعامل معه مرتبطا بسياق، وهذا وإن كان مفيدا للتعامل مع النصّ وفهمه بدقّة، إلاّ أنّه سوف يحكم لكلّ نصّ بنحو خاصّ به، وهنا سنجد مجموعة من الأنحاء بعدد من النصوص»[4]. ويتمثّل اللّبس الذي

(١) ينظر: نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص٦٧-٦٨).

(٢) نحو النصّ في النَّحو العربيّ، دراسة في مجموعة من العبارات النحويّة الشارحة، صفا، فيصل إبراهيم، العدد (٩٢)، (ص٨٥-٨٦).

(٣) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، (ص١٣١).

(٤) المرجع السابق، (ص١٣٢).

وقع فيه العلماء في هذا الباب في إقرارهم أنّ للنصّ أطرا مقاميّة ينشأ فيها، فالنصوص تتبدّل وتتغيّر بتغيّر أطرها التاريخيّة والسياسيّة، كما أنّ الجنس الأدبيّ يبقىٰ محدّدا رئيسا لاختلاف النصوص، بيد أنّ المفارقة تكمن في أنّ لكلّ نصّ نحوا علىٰ حدة، وإنّ هذا التعميم من شأنه أن يجعل علم النحو علما لا يحدّ بحدّ، وفي هذه الحالة سيغلب علىٰ علم النحو الجانب التطبيقيّ دون النظريّ، والثابت أنّ المقدّمات التي صاغها علماء نحو النصّ تثبت العكس، أي أنّ هذا العلم يتداخل فيه التطبيقيّ والنظريّ، ومن الهنات التي يوجّهها النقّاد إلىٰ هذا العلم الناشئ «عدم التقيّد بضوابط محدّدة في نحو النصّ؛ حيث وجدت حريّة كبيرة في صنع المعايير والضوابط والقواعد؛ ولهذا وجد خلاف كبير بين نحاة النصّ وتعدّدت اتّجاهات التحليل النصّي من جرّاء ذلك»[1].

إنّ عدم التقيّد بمنهج محّدد في نحو النصّ يعود إلىٰ قناعة راسخة لدىٰ شرّاح النصوص أنّ النصّ غير ثابت، ومبني علىٰ التأويل، وهي مسألة اجتهاديّة ذوقيّة، لذلك لم يتقيّد نحو النصّ بقواعد منهجيّة صارمة، لكنّ هذا الاتجاه يمكن أن يسهم في تحويل نحو النصّ إلىٰ علم غير مستقرّ، وحريّ بالذكر في هذا المنحىٰ، أنّ نحو الجملة، وهو العلم الأسبق ضبط بحدود منهجيّة صارمة، وهذا يعود إلىٰ أنّ نحو الجملة يقوم علىٰ استنباط القواعد النحويّة والوظائف الإعرابيّة، وهذا كلّه مداره الجملة، وهي وحدة دنيا مقارنة مع النصّ الذي رأىٰ فيه علماء نحو النصّ فضاء أوسع، لذلك لم يذهبوا إلىٰ سنّ ضوابط تقيّد الدارسين باتّباعها عند مقاربة النصوص نحويّا. وقد كان نحو النصّ منفتحا أيضا علىٰ علوم كثيرة، ويبرز ذلك في النتائج التي قدّمها في الدراسات اللغويّة الحديثة والمعاصرة «فنحو النص يدخل في جملة وظائفه كثيرا من الموضوعات التي يختصّ بها علم البلاغة مثل: مراعاة مقتضىٰ الحال، وكمال الاتصال وكمال الانقطاع، والإيجاز والإطناب والمساواة وغيرها، ويدخل موضوعات من مهمّات نقّاد الأدب مثل: الحديث عن

(١) المرجع السابق، (ص١٣٣).

الوحدة الوحدة العضويّة والوحدة الموضوعيّة، والعلاقة بين الشكل والمضمون وغير ذلك»[1].

كما أنّ لنحو النصّ وظائف أخرىٰ في دراسة الأدب، فهو وظيفيّ في دراسة الشعر الجاهليّ الذي كثرت أغراضه وتداخلت، وهذا كان سببا في غياب الوحدة العضويّة في القصيدة الجاهليّة، فاطّرد فيها الالتفات والانتقال من غرض إلىٰ غرض ممّا يشتتّ ذهن القارئ، فأصبح تحليل القصيدة أحيانا أمرا متعذّرا، بيد أنّ نحو النصّ أسهم إلىٰ حدّ كبير في دراسة تعددّ الأصوات والأغراض في القصيدة الجاهليّة، كما درس التماسك النصّي والأبنية الإعرابيّة المختلفة وارتباطها بالمعنىٰ في القصيدة ومقام التلفّظ.

* * *

(١) مباحث حول نحو النصّ، خليل، عبد العظيم فتحي، (ص١٧).

(٢) نحو النص: محاولات التأصيل في التراث النحويّ وحدودها

يذكر بعض الدارسين المحدثين أنّ التراث النحويّ تضمّن مقدّمات في نحو النصّ في صورته الحديثة، مستدلّين بأمثلة وشواهد ونصوص تشير إلىٰ أنّ المتقدّمين وضعوا اللبنات الأولىٰ لنحو النص، وتعتبر أطروحة الدكتور محمّد الشاوش «أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النصّ» من أهمّ الأعمال الحديثة التي سعت إلىٰ تأصيل نحو النصّ[1] بيد أنّ هذا الرأي لم يلق القبول في الأوساط الأكاديميّة والعلميّة العربيّة، فلئن رأىٰ بعض الباحثين بأنّ المدوّنة اللغويّة العربيّة القديمة مهّدت لنحو النصّ الحديث، فإنّ آخرين يفنّدون هذا الرأي، ويقرّون أنّ النحو العربيّ هو نحو جملة، لذلك ينبني هذا القسم النقديّ علىٰ إبراز هذا الجدل بين الرأيين، وهو جدل يوحي بتشعّب مبحث نحو النصّ واختلاف مرجعيّاته، ويدلّل علىٰ أنّ مجاله لم يستوف مداه.

يعتبر كتاب «نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ» لعمر أبو خرمة من المراجع التي قامت علىٰ فكرة اطّراد نحو النصّ في بعض متون المتقدّمين من النحاة، وهو مرجع جامع سأعتمده أنموذجا في هذا الباب، فقد ذكر أنّ الجرجاني كان من الأوائل القائلين بنحو النصّ بعد أن شرح وفصّل القول في نحو الجملة فقد «كان لإدراك الجرجاني لطبيعة علم النحو أثر بارز...في خدمة نحو النصّ، وفهم النصوص، فهما علميّا دقيقا، وما كان حديثه في بعض جزئيات نحو النصّ، كحديثه في الفصل والوصل - الذي يعدّ نموذجا بارزا لما يجب أن يبحث فيه هذا العلم، وليس هو كلّ نظريّة نحو النصّ، ضمن فهم الجرجانيّ لعلم نحو النصّ بمصطلحه المعاصر - إلاّ إبرازا لموضوع ظاهر من مواضيع هذا العلم»[2]، ويتّضح من خلال هذا الشاهد أنّ الجرجانيّ أصّل نحو

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النصّ، (ص١٨١-٢٢٥).

(٢) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، أبو خرمة، عمر محمّد، (ص٤٤).

النصّ في التراث اللغويّ العربيّ، وهو رأي يخالف ما استقرّ عليه الأمر في عدد من الدراسات من أنّ منشأه غربيّ، ولا أصول له في التراث العربيّ، وقد استدلّ الباحث عمر أبو خرمة على تأصيل الجرجاني لعلم نحو النصّ وتمهيده لهذا العلم، إذ «يظهر جليّا أنّ الجرجانيّ يرى أنّ النصّ لا يتكوّن إلا حسب قوانين النحو، ومناهجه، وهو هنا يدرك تماما أنّ علم النحو ليس نحو الجملة فقط؛ إذ يرى أنّ نحو الجملة جزء يسير من علم النحو»[1]، وقد استدلّ د عمر أبو خرمة في هذا السياق بأنّ الجرجانيّ عند شرحه النصوص استند إلى منهجيّة أساسها أن يبدأ دارس النصّ بنحو الجملة إلى أن يصل إلى نحو النصّ، ثم نحو الأسلوب. وبيّن أهميّة كتاب «دلائل الإعجاز» ودوره في توجيه الدراسات الحديثة، فقد «شكّل الجرجاني نقطة وعي شاملة بعلم النحو، حيث قرّر أقسامه الحقيقيّة، ابتداء من نحو الجملة، مرورا بنحو ما فوق الجملة، وصولا إلى نحو النصّ، انتهاء بنحو الأسلوب»[2]. ولفت الباحث نظرنا إلى أنّ مبحث الفصل والوصل كان بداية للوعي بنحو النصّ في الثقافة العربيّة، موضّحا أنّ دراسة نحو النصّ انزاحت في بداياتها عن الأجناس الأدبيّة المختلفة، وأهمّها الشعر والنثر وانصرفت إلى القرآن الكريم.

ومن المصادر الأخرى التي أصّلت نحو النصّ كتاب البقاعي «الأساس في التفسير»[3]، ويقول الباحث: «فلا أظنّ أنّ كتابا سبقه، في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصيّة، سواء على مستوى ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية، والمتباعدة، حتّى أنّه ربط الناس بالفاتحة، وما بعدها، ولم يأل جهدا في ربط ما بينهما»[4]. ولعلّ ميزة كتاب البقاعي أنّه مصنّف في

(١) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرى، أبو خرمة، عمر محمّد، (ص٤٤).

(٢) المرجع السابق، (ص٧٩).

(٣) يمكن للباحث العودة إلى هذا المصنّف، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين، ط:٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م.

(٤) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرى، (ص٤٨).

تفسير القرآن الكريم، وهو وحي إلهيّ له نظم خاصّ يختلف عن نظم الشعر والنثر، لكنّه يخضع إلىٰ نفس القواعد النحويّة، وتكمن أهميّة كتاب البقاعيّ حسب الباحث أنّه «ركّز في تفسيره علىٰ ربط الجمل بعضها ببعض، أكثر من عنايته بربط الجملة فيما بينها من عناصر، ولم يكن ذلك إنكارا منه لوجود الرابط؛ بل لأنّه قرّر، أنّه أسهل تناولا من نظيره؛ أي أسهل من ربط الجملة بالجملة»(١)، فلم يعد المبتغىٰ في نظر البقاعي الجملة وما يتعلّق بها من قواعد نحويّة وإعرابيّة، بل ترابط الجمل فيما بينها وتطوّرها إلىٰ بناء نصّ متكامل؛ هو في جوهره السور القرآنيّة الكريمة، وقد اصطلح علماء القرآن علىٰ هذا العلم بعلم المناسبة الذي اعتبر دليلا علىٰ الإعجاز القرآنيّ، وفحواه نظم الآيات القرآنيّة بدقّة نحويّة وإعرابيّة، ثمّ ارتباطها بآيات أخرىٰ لتكوّن سورا منفصلة عن بعضها البعض، لذلك عدّ الباحث البقاعي «غير مسبوق، ألزم نفسه بمنهج ثابت؛ إذ حاول أن يربط كلّ سورة بما قبلها وبما بعدها من السور، وكلّ آية بما قبلها وبما بعدها أيضا، كما أسلفت، وهذا منهج كان يستعمله المفسّرون، عندما تكون حاجة ماسّة إلىٰ مثل هذا الربط- من وجهة نظرهم- أو عندما يسألون عن علّة مثل هذا الترتيب في القرآن، ولكنّهم غالبا كانوا ينصرفون عن مثل هذا المنهج في جلّ أعمالهم منشغلين في تفسير النصّ آية آية أو جملة جملة...دون الولوج إلىٰ عوالم النصّ الداخليّة لإحكام أجزائه بعضها ببعض»(٢)، فقد كسر البقاعي التقليد في تفسير القرآن الذي يستند إلىٰ التفسير اللغويّ القائم علىٰ تفصيل القول في الآيات دون أن تكون الدراسة أوسع من الجمل المقتضبة المتمثلة في الآيات، لذلك يتنزّل كتابه حسب الباحث بمثابة المقدّمة لنحو النص في التراث النحويّ القديم(٣).

(١) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، (ص٤٩).

(٢) المرجع السابق، (ص٥١).

(٣) ينظر: التناسب القرآنيّ عند برهان الدين البقاعي، سعد، محمود توفيق محمّد، دكتوراه، القاهرة، جامعة الأزهر، رسالة كلية اللغة العربيّة، ١٩٨٣م.

درس الباحث عمر أبو خرمة جهود اللغويّين في نحو النصّ وأشاد بهم، وقد لخّص أعمالهم وشرحها مبيّنا وجوه الإضافة فيها والنقصان[1]، موضّحا أنّ هذه الجهود جاءت مترابطة في أحيان كثيرة، فوضّح لنا أنّها سبقت الدراسات الغربيّة في التأصيل لهذا العلم، ولكنّ الملاحظة المنهجيّة التي يمكن إيرادها أنّ جلّ الدارسين اعتمدوا القرآن الكريم في دراسة نحو النصّ ممّا جعل آفاق دراساتهم في مستوىً واحد، ويعتبر كتاب البقاعيّ تحوّلا مهمّا في نحو النصّ تطبيقا علىٰ القرآن، ولعلّ من المعايب التي وقع فيها العلماء الأوائل أنّهم «نظروا إلىٰ التماسك النحويّ، علىٰ أنّه سهل، من جهة، ويمكن الوصول إليه بيسر من جهة ثانية، فقفزوا عن مقدّماته الضروريّة، إلىٰ النتائج النهائيّة، فأثبتوا الوحدة، دون إثبات الطريق إليها»[2].

لا يمكن حسب د عمر أبو خرمة إنكار جهود النحاة العرب فيما يتعلّق بنحو النصّ، فقد مثّلت جهودهم سبقا علميّا ومنهجيّا بالنسبة إلىٰ الدراسات الغربيّة الحديثة والمعاصرة في محاور معيّنة؛ منها أنّ لأدوات الربط في العربيّة «أثر فاعل في ربط النصوص وتماسكها: ذلك أنّ علماء العرب درسوا هذه الأدوات في إطار دراستهم للنحو التقليديّ، وكلّ ما أضافه علماء الغرب في هذا الباب أنّهم جمعوا هذه الأدوات في صعيد واحد وأدخلوها في دراسة نحو النصّ مباشرة»[3].

ويعود هذا الاهتمام المبكّر في اللغة العربيّة بأهميّة أدوات الربط نظرا إلىٰ القيمة النظريّة التي اكتسبها النحو التقليديّ الذي انبنىٰ أساسا علىٰ نحو الجملة، فقد انشغل اللغويّون به لفترة طويلة إلىٰ أن اكتمل واستقرّ علما مستقلاّ. ولم يقتصر دور اللغويّين القدامىٰ علىٰ هذا السبق المتقدّم، وإنّما اهتمّوا بالدلالة وأنواعها فقد «درسوا الدلالة وأقسامها: المطابق، والمتضّمن، والملازم، في المباحث اللغويّة، وكلّ ما أضافه علماء الغرب أنّهم ربطوها بمصطلح نحو

(١) ينظر: نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، (ص٥٥-٧٦).

(٢) المرجع السابق، (ص٨٠).

(٣) المرجع السابق، (ص٩٦).

النصّ»[1]، فقد كان اللغويّون علىٰ وعي بصلة النحو والدلالة، بعد أن تجاوزوا نحو الجملة، وهو النحو المجرّد الذي يقوم علىٰ التقعيد والوظائف النحويّة، ثمّ توصّلوا إلىٰ معاني النحو والدلالة التي هي غاية النصّ باعتباره مشكّلا لها.

إنّ الرأي الأشيع في الدراسات اللغويّة المعاصرة أنّ النحو العربيّ نحو جملة وليس نحو نصّ، وما المحاولات التي سعت إلىٰ تأصيل نحو النصّ في متون المتقدّمين من النحاة سوىٰ جهود لم تمثّل إجماعا في الأوساط الأكاديميّة والعلميّة، ويفسّر الباحث فيصل إبراهيم صفا الأسباب التي جعلت الدارسين المحدثين يذهبون إلىٰ الإقرار بأنّ النحو العربيّ هو نحو جملة في قوله: «ولعلّ السبب، في حمل الدارسين علىٰ وصف النحو العربيّ بأنّه نحو جملة هو خلوّه الظاهر من تحليل نصوص طويلة مكتملة تحليلا نحويّا يوضّح الكيفيّات التي تعالقت علىٰ أساسها جملها، ومن ثمّ خلوّه من قواعد تضبط هذه الكيفيّات»[2].

وقد استدرك د عمر أبو خرمة في بحثه الذي كان مداره تأصيل نحو النصّ في الدراسات العربيّة، فبيّن أنّ بعضها جاء قلقا يشوبه الخلط وعدم الإحكام، ويشير إلىٰ أنّ وليد منير في بحثه حول نحو النص[3]، قد استفاد لا محالة من دراسات من سبقه من الباحثين، وتجاوز بعض النقائص التي وقعوا فيها، كما وظّف النظريّات الحديثة في نحو النصّ، لكنّه أغفل مسألة التماسك النصّي، وهي مسألة خلص إليها كلّ من درس نحو النصّ باعتبارها تتمّة له وهدفا له، فهو «لا يثير قضيّة التماسك النحويّ؛ بل هو يخلط بين القوانين النحويّة والقوانين الدلاليّة؛ إذ يجمع بين العطف النحويّ، والتجاوز والمجاوزة الدلاليين. بل نزعم أنّه يتحدّث في كلّ، علىٰ أنّه

(١) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، (ص٩٦-٩٧).

(٢) نحو النصّ في النحو العربيّ، دراسة في مجموعة من العبارات النحويّة الشارحة، (ص١٠٥).

(٣) قدّم وليد منير بحثا مهمّا حول نحو النصّ، ينظر: النصّ القرآني من الجملة إلىٰ العالم، منير، وليد، ط:١، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

من الترابط الدلاليّ. محاولا في فعله هذا، أن يجمع بين مقولات بارت في العهد البنيويّ، ومقولات علماء النصّ، وبخاصّة فنديك»[1].

يتشكّل نحو النصّ عند وليد منير مغايرا لما هو متداول عند من سبقه من الدارسين، فلم يعد النصّ يؤسّس تماسكه بناء علىٰ النحو، بل أصبحت الدلالة رديفا لهذا التماسك، ويغيب وفق هذا التصوّر دور النحو في تحقيق الانسجام والترابط داخل النصّ، ويذكر الباحث عمر أبو خرمة أنّ وليد منير «يحاول أن ينشئ نظريّة في نقد النصّ، أكثر من محاولته إنشاء نظريّة في فهم النصّ، أو مفهومه. ويرىٰ البحث، أنّه في هذا، قد خرج من دائرة علم نحو النصّ، إلىٰ دائرة أخرىٰ تالية، وهي دائرة علم الأسلوب، وبخاصّة عندما كان يتحدّث في التجاوز البسيط؛ ذلك أنّه لا يحاول هناك بيان التماسكات النحويّة داخل الموضوع الواحد، بالقدر الذي كان يحاول فيه بيان سبب اختيار الناصّ لتركيب دون آخر حينا، ومفردة دون أخرىٰ حينا آخر»[2]. ولعلّ الخطأ المنهجيّ الذي وقع فيه وليد منير أنّه حوّر نحو النصّ – مثلما استقرّ في الدراسات السابقة له – من الارتكاز علىٰ النحو إلىٰ الاعتناء بالدلالة والأسلوب، لذلك يعدّ تجاوز النحو خطأ منهجيّا في دراسة النصّ، وهو رأي في حال قبوله يفضي – مثلما أشار الباحث إلىٰ «التسليم بأنّ النصّ مفكّك علىٰ المستوىٰ النحويّ، لا سبيل إلىٰ اتّساقه إلّا علىٰ مستوىٰ التأويل الدلاليّ...وهذا خلاف ما نؤمن به، من أنّ النصّ – أيّ نصّ – يجدر أن يكون متماسكا علىٰ المستوىٰ النحويّ، ومترابطا علىٰ المستوىٰ الدلاليّ، وإلاّ انتفت نصّيته. وهذان الفعلان، فعل التماسك والترابط يتمّان دون الحاجة إلىٰ عقيدة مسبقة في النصّ»[3].

هكذا، إذن، وضّح د عمر أبو خرمة أساس التناقض المنهجيّ الذي وقع فيه وليد منير، وهو

(١) نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، (ص٧٥).

(٢) المرجع السابق، (ص٧٦).

(٣) المرجع السابق، (ص٧٦).

تناقض يعطّل سيرورة نحو النصّ المتشكّلة في دراسات سابقة وفق نسق يحتاج إلىٰ كثير من التدليل والتطوير، فالتعويل علىٰ الدلالة والتأويل لدراسة النصّ يمثّل عودة بدرس نحو النصّ إلىٰ دراسات سابقة، وهذا العود القهقرىٰ هو من أهمّ الهنات التي وقع فيها وليد منير في دراسته، فلا يمكن لأيّ نصّ مهما اختلف جنسه الأدبيّ أن يستقلّ بدراسة الدلالة عن النحو، بل يجب أن يكونا متزامنين، لأنّ النحو يحقّق التماسك، والدلالة تحيل علىٰ الترابط، ومن ثمّة يتشكّل النص وفق نسيج نحويّ متكامل إعرابيّا، وينفتح علىٰ إحالات دلاليّة تكشف عن معانيه الأول والثواني والمسكوت عنه. وإنّ تنوّع الدراسات وتطوّرها جعل من نحو النصّ علما ثابتا ومن نحو الجملة علما تقليديّا، فوصف النصّ بأنّه مدار النحو، وحدّدت له معايير مجتمعة هي التالية: (الربط، التماسك، القصد، القبول، الإعلام، المقاميّة، التناص)، وإنّ هذه المعايير السبعة تمّ تقسيمها إلىٰ ما يتّصل بالنصّ في ذاته، وهما معيارا الربط والتماسك، وأمّا معيارا القصد والقبول فهما يتّصلان بكاتب النصّ أو قارئه، وأمّا بقيّة المعايير فتتّصل بالأطر الثقافيّة والاجتماعيّة الحافة بتشكّل النصّ[1].

لعلّ الإشكال الجوهريّ في صلة النحو بالنصّ العلاقة الجدليّة بينهما، فنحو النصّ يعتبر النصّ بنية كليّة، وتتميّز هذه البنية الكليّة بالتماسك النصّي، ويقوم هذا التماسك علىٰ الخطاب باعتباره خاصيّة دلاليّة له، كما ينبني علىٰ علاقة الجمل بعضها ببعض «ومن هنا يكون الترابط النصيّ أو التماسك النصّي هو وجود علاقة بين أجزاء النصّ أو جمل النصّ أو فقراته؛ لفظيّة أو معنويّة، وكلاهما يؤدّي دورا تفسيريّا، لأنّ هذه العلاقة مفيدة في تفسير النصّ، فالتماسك النصّي هو علاقة معنويّة بين عنصر في النصّ وعنصر آخر يكون ضروريّا لتفسير النصّ الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتوالية»[2]، فالنصّ هو بناء منطقيّ يقوم علىٰ جمل متتالية يحكمها نظام نحويّ، أمّا التماسك فهو سمة من سمات النص وأهمّ خصائصه الأسلوبيّة، ليحيل في مرحلة

(١) نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، ص٧٥-٧٦).

(٢) المرجع السابق، (ص٩٨).

ثانية علىٰ معاني النص ودلالته.

يقرّ الدكتور سعد مصلوح في مجمل دراساته التي تناولت نحو النصّ أنّ منشأه غربيّ، ويدعم رأيه بشواهد تاريخيّة تثبت تاريخيّة النصّ الأدبيّ عند الغرب قبل ظهور نحو النص، فقد كان يدرس في نطاق علوم أخرىٰ مثل البنيويّة والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبيّة[1]، ولم يستقرّ علما مكتملا إلاّ مع المدرستين البنيويّة السلوكيّة والتوليديّة التحويليّة، ويذكر الدكتور سعد مصلوح أنّ نحو النصّ «لاسابق عهد للعربيّة به»[2]، وإنّ وفوده إلىٰ الدراسات العربيّة يستوجب حسن توظيفه، لذلك كان حضوره قلقا في بداية الدراسات وإلىٰ حدّ الآن، كما أنّ البحث في اطراده في متون اللغويّين العرب لا يعتبر سوىٰ بدايات تلمّس طريق له في تاريخ الثقافة العربيّة، لذلك لم يعدّد آراء النحويّين القدامىٰ عكس ما ذهبت إليه بعض دراسات المحدثين، وقد ذكر د سعد مصلوح ما يدعم انفصال نحو النصّ عن التراث العربيّ في قوله: «فإنّ واقع الدراسات النقديّة في العربيّة هو فيما نحسب أوغل في القتامة وأبعد عن مواصفات العلم ومواضعاته، فقد غرق في السطحيّة التاريخيّة، واتجه بكلّيته إلىٰ المعالجة المضمونيّة، وأصبح النصّ الأدبيّ وصيفة لكلّ علم، ممّا جعل الحاجة إلىٰ تضافر العلوم اللسانيّة والنقديّة علىٰ دراسة النصّ الأدبيّ دراسة علميّة أشدّ إلحاحا»[3]. ولم تظهر هذه الحاجة الملحّة إلاّ بعد اكتمال نحو النصّ منهجا تامّا في الدراسات الغربيّة و«فطن المشتغلون بعلوم اللسان إلىٰ أنّ اللغة ليست مجرّد نماذج وأنماط للجمل ولكنّها مرآة وأداة وسلاح، ومن ثمّ فإنّ الفهم الحقّ لنظريّتها لا يمكن أن يتحقّق باجتزاء الجمل من السلوك القوليّ في شموله وتكامله، والتزام حدود نحو الجملة»[4].

(١) ينظر: النظريّة الأدبيّة المعاصرة، سلدن، رامان، (ص٨٧-١١٠).

(٢) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، (ص٤١١).

(٣) المرجع السابق، (ص٤١٤).

(٤) المرجع السابق، (ص٤١٥).

يبيّن الدكتور سعد مصلوح أنّ نحو النصّ له مرجعيّة غربيّة، وقد استثنىٰ اللغة العربيّة من هذا العلم، طارحا سؤالا عن واقع الدراسات العربيّة: «ترىٰ هل آن الأوان لتقتحم العربيّة ونحوها عقبة نحو النصّ، ويكسر النحو حصارا ضربته حوله الغاية المعياريّة الضيّقة، والقواعد المحفوظة والشواهد التي نتعبّد بتلاوتها وترديدها؟»[1]، وبهذا الرأي المتقدّم والتساؤل المطروح ينفي الدكتور سعد مصلوح أن يكون نحو النصّ قد استقرّ علما متداولا في التراث اللغويّ العربيّ، وبذلك ينقض دراسات متقدّمة قالت بتجذّره في المتون اللغويّة القديمة[2]، فهو يرىٰ أن لا وجود لتصوّر نحو النصّ في العربيّة ونحوها، ويقرّ أنّ دراسته تستمدّ محدّداتها من جهود العلماء الغربيّين الذين «استفرغوا وسعهم في صياغة هذا التصوّر وتمحيصه ومناقشة مشكلاته وأطره النظريّة، واستخدامه في معالجة نصوص بعينها في لغات قديمة وحديثة علىٰ نحو نستبين به غناءه وجدواه»[3].

يدعو د سعد مصلوح إلىٰ توظيف نحو النصّ ودراسته في مراجعه وأصوله الغربيّة، ومن أهمّ هذه الخطوات التي يراها الأنجع ما اصطلح عليه الباحث في مستوىٰ أوّل بـ«محاكمته إلىٰ التراث النحويّ أو عرض التراث النحويّ عليه بغية تقويم هذا التراث»[4]، ومن ثمّة تبيّن العوائق المانعة لتوظيف هذا العلم الجديد، وتقوم هذه المرحلة علىٰ تقويم وجوه التباين والالتقاء بين أصول نحو النصّ والتراث النحويّ العربيّ والنصوص الأدبيّة علىٰ اختلاف أجناسها، أمّا في

(١) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، (ص٤١٦).

(٢) ينظر: ملامح نحو النصّ في التراث العربيّ، عفّاس، معمّر، الجزائر، دكتوراه، جامعة وهران، أحمد بن بلّة، ٢٠١٨م.

ونحو النصّ، دراسة تطبيقيّة لمفاهيم علم النصّ، قصّة موسىٰ عليه السلام في النص القرآنيّ نموذجا، الدسوقي، إبراهيم محمّد أحمد، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠٠٧م.

(٣) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، (ص٤١٦).

(٤) المرجع السابق، (ص٤١٧).

مستوىً ثان، فقد ذكر د سعد مصلوح «فإنّما يكون بممارسة تطبيقه علىٰ قدر صالح من النصوص. وبذلك يمكن سبره ومعاودة النظر فيه لإحكامه وتجويده، وتحقيق الاقتناع بجدواه في دراسة العربيّة وفقه نصوصها»[1].

بيد أنّ الباحث يطرح أسئلة علىٰ صلة بهذا التصوّر والإشكاليّات التي ذكرها، وهي أسئلة تبيّن أنّ نحو النصّ في صلته بالتراث النحويّ ليس موضوعا هيّن التناول، متيسّر المنهج، فهو يقرّ أن تقويم النحو العربيّ من الوجهة النصيّة يشتمل علىٰ كثير من المعوقات المنهجيّة التي وصفها د سعد مصلوح بأنّها «مهمّة يندر مثيلها في الصعوبة»[2]، ويعدّد أربعة معوقات منهجيّة، يمكن أن نلخصها أوّلا في أنّ النحو العربيّ هو موضوع لتحليل الشاهد والمثال، والشواهد النحويّة أو الجمل المجتزأة أو المصنوعة أحيانا، وهي موضوع الدراسة فيه، وثانيا أنّ السمة التشريعيّة ذات الطابع التعليميّ المعياريّ غلبت علىٰ النحو العربيّ، فحدّت من قدرته علىٰ التحليل الخالص للظواهر اللغويّة، وأمّا ثالثا، فإنّ النحو العربيّ استبعد فكرة التغيّر اللغويّ، واعتبر النحاة أيّ تغيّر هو لحن ينبغي عدم وقوعه، ويرىٰ د سعد مصلوح أنّ هذه الإشكاليّة تمثّل نقطة افتراق بين النحو العربيّ واللسانيّات الحديثة التي تعترف بدراسة اللغة دراسة تزامنيّة Synchronic أو تعاقبيّة Diachronic، وتعتبر فكرة التزامنيّة من أهمّ خصائص نحو النصّ الحديث، لكنّ النحو العربيّ هو نحو لا زمانيّ Achronic. وأمّا نقطة التباين الرابعة، فتتمثّل في أنّ المقام يشغل حيّزا هامشيّا في النحو العربيّ، ولا يربط تمايز التراكيب بتمايز المقامات، وهي سمة من سمات النحو العربيّ، ومن هذا المنطلق أشار الدكتور سعد مصلوح إلىٰ أنّ النحو المقاميّ في البلاغة العربيّة يجسّد وصلا واضحا بين النحو القديم ونحو النصّ الحديث[3].

(١) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، (ص٤١٧).

(٢) المرجع السابق، (ص٤٢٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ص٤٢٦- ٤٢٧).

استطاع الدكتور سعد مصلوح أنّ يبوّب المعرقلات التي حالت دون إقرار نحو النصّ في التراث النحويّ العربيّ، وهو تصوّر يستند إلىٰ قراءة تاريخيّة للتراث النحويّ واستجلاء مواطن التباين مع نظريّة نحو النصّ، وإنّ هذا الطرح لا يمكن أن يفهم في سياق أنّ نحو النصّ يتبرّأ من النحو العربيّ، بل لابدّ من تطويعه حتىٰ يستجيب لمنهج نحو النصّ الحديث، ولكنّ د سعد مصلوح يذهب إلىٰ القول بأنّ مسألة أشدّ تعقيدا تباعد بين النحو العربيّ ونحو النصّ الحديث، ويلخّصها قوله التالي: «ثمّة معوقات أخرىٰ تتجاوز ترسيخ المفارقة بينهما إلىٰ ما هو أشدّ وطئا وأدهىٰ عاقبة؛ إذ إنّها تخلّ بكفاءة النحو العربيّ حتّىٰ من جهة قيامه بتحليل جيّد للجملة بله النصّ، ويتمثّل هذا النوع الأخير في افتقاد النحو العربيّ لخاصّتي النظاميّة والهرميّة الواجب توافرهما في نحو الجملة الكفء إذا أريد له أن يكون جزءا مكوّنا في نصّ كفء»[1]. ويفسّر الدكتور سعد مصلوح هذه الإشكاليّة مبيّنا أنّ جهود اللسانيّين العرب القدماء في الصوتيّات والصرف والنحو والدلالة والبلاغة كانت جهودا كبيرة، لكنّ هذا الشمول وسم بحوثهم بغياب النظاميّة Systimatization، فقد حوت كتب البلاغة والمعاجم وفقه اللغة والنقد مبحث الدلالة، وأمّا الصوتيّات فقد تمّ ضمّها إلىٰ الكتب المفردة في النحو، فانعكس هذا التصنيف في وجود خلل منهجيّ تمثّل في تفرّق المادّة وتشتّتها حتّىٰ غدت مسألة النظاميّة الرابطة بين هذه العلوم أمرا متعذّرا، ويذكر د سعد مصلوح «إنّ التراث اللسانيّ العربيّ قد تضمّن معالجة علميّة متميّزة لجمهرة من مسائل الأصوات والصرف والنحو والدلالة، ولكنّه أبدا لم يعرف فكرة المستوىٰ التحليليّ الذي ينتظم مفردات المسائل ويفسّر علاقاتها النظاميّة فيما بينها، ويعالج علاقات المستوىٰ الواحد بغيره من المستويات التي تقع دونه أو فوقه في سلّم العلاقات الوظيفيّة»[2]، وإنّ هذا الإشكال المنهجيّ المعرفيّ يعدّ من أهمّ

(١) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، (ص٤٢٧).

(٢) المرجع السابق، (ص٤٢٨).

المعرقلات الطارئة على النحو العربيّ، وتعتبر اللانظاميّة إشكالا منهجيّا ومعرفيّا متفرّعا إلى معرقلات كثيرة، الأمر الذي جعل عديد اللسانيّين يطرحون سؤالا عن الحكمة من ترتيب المحاور وفق ذلك الاختيار المطّرد في مصنّفات علوم النحو.

ويخلص الدكتور سعد مصلوح إلى أنّ النحو القديم في صورته الحاليّة مشوّش المضامين والمباحث «إنّه تتابع يهدر مفهوم المنظومة التحليليّة ومفهوم العلاقة النظاميّة بين مكوّنات التركيب داخل الجملة، وبين المقولات الصرفيّة والنحويّة كلّ الإهدار. أترانا على حقّ حين نقرّر أنّ النحو العربيّ بصورته المستقرّة لا يفي بالمراد حتّى في إطار نحو الجملة بله النصّ»[1]، ولكنّ الدكتور سعد مصلوح يرى سبيلا إلى إرساء علم نحو النصّ العربيّ، فقد اعتبر كتاب السكاكيّ «مفتاح العلوم»[2]، مصنّفا جمع بين مستويات البحث اللسانيّ «على وجه التدرّج واللزوم، بادئا بالصوتيات ومثنّيا ببناء الكلمة، فالنحو المقاميّ، مقرّرا تضافر هذه المستويات في تشكيل علم الأدب. وفي ضوء الغاية المبتغاة من نحو النصّ، وهي تحديدا، إمداد الدراسات النصيّة بوصف وتشخيص منضبطين لبنية النصّ النحويّة، أمكن أن نقدّر هذا الإنجاز المتميّز حقّ قدره»[3]. ويتّضح لنا ممّا تقدّم أنّ مسألة تأصيل نحو النصّ ما زالت مبحثا ملحّا في الدراسات النحويّة الحديثة، وإنّ التأصيل المصطلحيّ مهمّ في هذا الباب[4]، ويكون ذلك استنادا إلى قراءة مستفيضة لمتون النحو العربيّ القديم، ثمّ يأتي طور المقارنة بينها وبيان ما أنجزه النحاة من مقدّمات نظريّة تثبت وعيهم المبكّر بنظريّة نحو النصّ.

***

(١) من نحو الجملة إلى نحو النصّ، (ص٤٣١).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن علي، ط: ٢، القاهرة ١٩٩٠م.

(٣) من نحو الجملة إلى نحو النصّ، (ص٤٢٨).

(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النصّ، (ص١٩٠).

خاتمة

سعيت في القسم الأوّل من البحث إلىٰ شرح آراء المحدثين في نحو النصّ، وذلك بتوضيح دلالة المصطلح عند علماء اللسان الغربيّين والعرب، وقد تفرّع هذا الشرح إلىٰ البحث في دوالّ النحو والنصّ، ثم وصلت هذه المفاهيم الإجرائيّة بمدارات هذا العلم استنادا إلىٰ آراء منتقاة ومراجع محدّدة؛ فتبيّن لي ثراء المبحث وحداثته.

أمّا القسم الثاني، فهو قسم نقديّ؛ فحواه جدل بين الدارسين حول تأصيل هذا العلم في التراث النحويّ، وقد دعّمته دراسات موازية ترىٰ أنّ النحو العربيّ نحو جملة وأنّ نحو النصّ علم حادث طارئ علىٰ اللغة العربيّة. وإنّ كلا الرأيين المتباينين يفتحان آفاقا جديدة في البحث، محصّلهما التدليل علىٰ وجود إشكاليّات ما زالت لم تدرس بعد، إذ تجمع الدراسات علىٰ أنّ نحو النصّ علم وظيفيّ وجوهريّ في تحليل النصوص، كما اتضح لي أنّ الدارسين المحدثين قد استفادوا من التراث النحويّ في هذا الباب، وإن لم تتبلور نظريّة مكتملة قديما في نحو النصّ، وفي الآن نفسه مثّلت الدراسات الغربيّة مراجع عاضدة منهجيّا وعلميّا رغم اختلاف أصول اللغات وتباينها، وأشير أيضا إلىٰ أنّ جهود المحدثين في هذه الدراسة، هي بمثابة النماذج التي وقع انتقاؤها نظرا إلىٰ أهميّتها أوّلا، وعدم اكتمالها مباحث مستقلّة في نحو النص ثانيا، فبقيت منفتحة علىٰ عديد الأسئلة المنهجيّة والعلميّة خاصّة مع وجود علوم تتداخل مع هذا العلم مثل اللسانيّات وتحليل الخطاب.

فنحو النصّ لم تستوفه الدراسات بعد، لا سيّما الدراسات العربيّة، فـ«النظرة العلميّة التي ينبغي أن تنطلق منها دراسة نحو النصّ، هي تكامليّة مع نحو الجملة، والتخلّي عن التصوّرات التقليديّة التي ترىٰ في هذا النوع من الدرس هدما، أو تشويشا للنحو العربيّ، لكنّ هذا لا يعني أنهما لا يختلفان في الغاية العلميّة، فالجملة هي وحدة نحويّة، والنصّ هو وحدة دلاليّة، وبذلك

فنحو النصّ يركّز علىٰ تواصليّة النصّ، والعناصر المكوّنة لـذلك»[1]، كمـا أنّ الجانـب التطبيقـيّ في نحو النصّ اقتصر علىٰ القرآن الكريم دون أن يشمل - إجمالا - أجناسا أدبيّة أخرىٰ لهـا أهميّتهـا في الثقافة العربيّة[2]. وإنّ توظيف نحو النصّ في دراسة الشعر قد يـؤدّي إلـىٰ نتـائج أدقّ، لأنّ الـشعر يتميّز بروابط نصيّة أكثر من الأجناس الأدبيّة الأخرىٰ، مثل الوزن ووحدة القافية والتصريع[3].

* * *

(١) من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، المفهوم والتطبيق، الطّالب، هايل، العدد ١٢، (ص١١٩).

(٢) المرجع السابق، (ص١١٩).

(٣) التوحّد الإبداعيّ في نحو النصّ، قصيدة «زحلة لأمير الشعراء نموذجا»، محمود، محمّد خليفة، (ص٧٢).

قائمة المصادر والمراجع

*** المراجع العربية:**

- أصول تحليل الخطاب في النظريّة النحويّة العربيّة، تأسيس نحو النصّ، الشاوش، محمّد، ط١، الجزء١، كلية الآداب جامعة منوبة، المؤسّسة العربيّة للتوزيع، تونس، ٢٠٠١م.
- التحليل اللّغوي للنصّ، مدخل إلىٰ المفاهيم الأساسيّة والمناهج، برينكر، كلاوس، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري: ط:١، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م.
- التناسب القرآنيّ عند برهان الدين البقاعي، سعد، محمود توفيق محمد، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية اللغة العربيّة، جامعة الأزهر،، ١٩٨٣م.
- التوحّد الإبداعيّ في نحو النصّ، قصيدة «زحلة لأمير الشعراء نموذجا»، محمود، محمّد خليفة، القاهرة،كليّة دار العلوم جامعة المنيا، د ت.
- الدلالة والنحو، حسنين، صلاح الدين صالح، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.
- العربيّة من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، مصلوح، سعد، الكتاب التذكاريّ لقسم اللغة العربيّة، كليّة التربية الأساسيّة، جامعة الكويت، ١٩٩٠م.
- اللغة والإبداع الأدبيّ، العبد، محمّد العبد، ط:١، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- النصّ القرآني من الجملة إلىٰ العالم، منير، وليد، ط:١، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- النظريّة الأدبيّة المعاصرة، سلدن، رامان، ترجمة: جابر عصفور، مصر، دار قباء للطّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ١٩٩٨م.
- بناء الجملة العربيّة، عبد اللطيف، محمد حماسة، ط:٢، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

- علم النصّ مدخل متعدّد الاختصاصات، تون أ. فان دايك، ترجمة: د.سعيد حسن البحيري، ط:١، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
- علم النصّ، كريستيفا، جوليا، ترجمة: فريد الزاهيّ، ط:٣، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠١٤م.
- لسانيّات النص، مدخل إلىٰ انسجام الخطاب، خطابي، محمّد، ط:١، بيروت: المركز الثقافيّ العربيّ، ١٩٩١م.
- مباحث حول نحو النصّ، خليل، عبد العظيم فتحي، القاهرة: كلية اللغة العربيّة، د.ت.
- مدخل إلىٰ علم اللغة النصّي، فيهفيجر، فولفجانج هاينه من وديتر، ترجمة، فالح بن شبيب العجمي، المملكة العربيّة السعوديّة، جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ.
- مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن علي، ط: ٢، القاهرة، ١٩٩٠م.
- مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن، أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النصّ، دراسة في علوم القرآن، ط:١، الرّباط، المركز الثقافي العربيّ، ٢٠١٤م.
- ملامح نحو النصّ في التراث العربيّ، عفّاس، معمّر، دكتوراه، جامعة وهران١ أحمد بن بلّة الجزائر، ٢٠١٨م.
- من النصّ إلىٰ الفعل، أبحاث التأويل، ريكور، بول، ترجمة، محمّد برادة وحسّان بورقية، ط:١، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، ٢٠٠١م.
- من نحو الجملة إلىٰ نحو النصّ، المفهوم والتطبيق، الطّالب، هايل، مجلّة جامعة البعث سوريا، المجلّد ٣٩، العدد ١٢، ٢٠١٧م.
- نحو النصّ في النّحو العربيّ، دراسة في مجموعة من العبارات النحويّة الشارحة، صفا، فيصل إبراهيم، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، الأردن، العدد ٩٢، ٢٠٠٥م
- نحو النصّ، اتجاه جديد في الدرس النحويّ، عفيفي، أحمد، ط:١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م.
- نحو النصّ، دراسة تطبيقيّة لمفاهيم علم النصّ، قصّة موسىٰ عليه السلام في النص القرآنيّ نموذجا، الدسوقي، إبراهيم محمّد أحمد، رسالة دكتوراه، القاهرة، كلية دار العلوم، ٢٠٠٧م.

- نحو النصّ، نقد النظريّة وبناء أخرىٰ، أبو خرمة، عمر محمّد، ط:١، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤م.
- نسيج النصّ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الزّنّاد، الأزهر، ط:١، بيروت: المركز الثقافي العربيّ، ١٩٩٤م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، برهان الدين ط:٢، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م.

*** المراجع الأجنبية:**

- Halliday, M.A.K, (1985) An Introduction to functional grammar, London.
- Halliday, M.A.K. and R. Hasan(1976) Cohesion in English, London.
- John Lyons, (1995) Linguistic Semantics: an introduction, Cambridge university Press.

***

Bibliography

- The Principles of Discourse Analysis in Arabic Grammar Theory: Establishing the Grammar of the Text" by Mohamed Chaouch, 1st edition, part 1, Faculty of Literature of Manouba University, Arab Distribution Institution, Tunisia, 2001.
- Linguistic Analysis of the Text: An Introduction to Basic Concepts and Methods" by Klaus Brinker, translated by Dr. Said Hassan Bahiri, 1st edition, Cairo, Al-Mukhtar Publishing and Distribution Institution, Ain Shams University, 2005.
- Qur'anic Appropriateness in the Works of Burhan al-Din al-Baqai" by Mahmoud Tawfiq Saad, PhD thesis, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Cairo, 1983.
- Creative Unity in the Grammar of the Text: The Poem 'Zahleh' as a Model" by Mohammed Khalifa Mahmoud, Cairo, Dar Al-Ulum College, Minya University, unpublished.
- Semantics and Grammar" by Salah al-Din Saleh Hassanein, Cairo, Adab Library, 2005.
- From Sentence Grammar to Text Grammar" by Saad Muslawh, Memorial Book of the Arabic Language Department, Faculty of Basic Education, Kuwait University, 1990, pp. 406-432.
- Language and Literary Creativity" by Mohammed Al-Abd, 1st edition, Cairo, Dar Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, 1989.
- The Qur'anic Text: From Sentence to World" by Waleed Muneer, 1st edition, Cairo: Al-Moheet Al-Alami Institute for Islamic Thought, 1997.
- Contemporary Literary Theory" by Raman Saldan, translated by Jabir Asfour, Egypt, Dar Quba for Printing, Publishing and Distribution, 1998.
- Arabic Sentence Structure" by Mohammed Hamasa Abdul Latif, 2nd edition, Cairo, Dar Gharib for Printing, Publishing and Distribution, 2003.
- Introduction to Text Linguistics: A Multidisciplinary Approach" by Teun A. van Dijk, translated by Dr. Said Hassan Bahiri, 1st edition, Cairo, Dar Al-Qahira for Books, 2001.
- Text Linguistics" by Julia Kristeva, translated by Farid Zahy, 3rd edition, Casablanca, Dar Toubkal Publishing, 2014.
- Text Linguistics: An Introduction to Discourse Analysis" by Mohammed Khattabi, 1st edition, Beirut: Arab Cultural Center, 1991.
- Investigations into Text Grammar" by Abdel Azim Fathi Khalil, Cairo: Faculty of Arabic Language, unpublished.
- Introduction to Textual Linguistics" by Wolfgang Heine and W. Dressler, translated by Falih bin Shabeib Al-Ajmi, Saudi Arabia, King Saud University, 1419 AH.
- Key to Sciences" by Youssef ibn Ali Al-Sakkaki, 2nd edition, Cairo, 1990.
- The Concept of Text: A Study in the Sciences of the Qur'an" by Nasr Hamed Abu Zeid, 1st edition, Rabat, Arab Cultural Center, 2014.
- Aspects of Text Grammar in Arab Heritage" by Maamar Afifas, PhD thesis, University of Ahl-Belah Ahmed Ben Bella, Oran, Algeria, 2018.

- From Text to Action: Hermeneutic Inquiries" by Paul Ricoeur, translated by Mohammed Brada and Hassan Bouriqa, 1st edition, Egypt: Aein for Human and Social Studies and Research, 2001.
- From Sentence Grammar to Text Grammar: Concept and Application" by Hayel Al-Talib, Journal of Al-Baath University, Syria, Volume 39, No. 12, 2017.
- Text Grammar in Arabic Grammar: A Study of Explanatory Expressions" by Faisal Ibrahim Safa, Arab Journal of Human Sciences, Jordan, No. 92, 2005.
- Text Grammar: A New Approach to Grammatical Studies" by Ahmed Afifi, 1st edition, Cairo, Zohra Al-Sharq Library, 2001.
- Text Grammar: An Applied Study of the Concepts of Text Linguistics: The Story of Moses, Peace be Upon Him, in the Qur'anic Text as a Model" by Ibrahim Mohamed Ahmed El Desouki, PhD thesis, Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo, 2007.
- Text Grammar: Critique of Theory and Construction of Another" by Omar Mohamed Abu Kharma, 1st edition, Jordan, Modern Book World, 2004.
- The Fabric of Text: An Examination into What Constitutes Verbal Text" by Azhar Al-Zannad, 1st edition, Beirut: Arab Cultural Center, 1994.
- The System of Pearls in the Harmony of Verses and Chapters" by Burhan al-Din al-Baqai, 2nd edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1995.

❊ ❊ ❊